تفسير إبن كثير

وَّلَقَدْ آتَیْنَا مُوسَى الْکِتَابَ وَقَفَّیْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَیْنَا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّنَاتِ وَأَیْدَنَاهُ وَلَقَدْ آتَیْنَا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّنَاتِ وَأَیْدَنَاهُ وَلَیْ اللهِ الله وَ الله وَ الله الله وَ الله وَالله وَال

ينعت ، تبارك وتعالى ، بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة ، والاستكبار على الأنبياء ، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم ، فذكر تعالى أنه آتى موسى الكتاب وهو التوراة فحرفوها وبدلوها ، وخالفوا أوامرها وأولوها . وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته ، كما قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب االله وكانوا عليه شهداء) الآية [المائدة : 44] ، ولهذا قال : (وقفينا من بعده بالرسل) قال السدي ، عن أبي مالك : أتبعنا . وقال غيره : أردفنا . والكل قريب ، كما قال تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترا) [المؤمنون : 44] حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسي ابن مريم ، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام ، ولهذا أعطاه االله من البينات ، وهي : المعجزات . قال ابن عباس : من إحياء الموتى ،

وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن االله ، وإبرائه الأسقام ، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس، وهو جبريل عليه السلام ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به . فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض ، كما قال تعالى إخبارا عن عيسى : (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم) الآية [آل عمران : 50] . فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة ، ففريقا يكذبونه . وفريقا يقتلونه ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ، فلهذا كان يشق ذلك عليهم ، فيكذبونهم ، وربما قتلوا بعضهم ; ولهذا قال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)والدليل على أن روح القدس هو جبريل ، كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية ، وتابعه على ذلك [ابن عباس و] محمد بن كعب القرظي ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي ، وقتادة مع قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين [بلسان عربي مبين]) [الشعراء : 193 - 195] ما قال البخارى : وقال

ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فقال : رسول االله صلى االله عليه وسلم : " اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك " . وهذا من البخاري تعليق .وقد رواه أبو داود في سننه ، عن لوين ، والترمذي ، عن علي بن حجر ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، ثلاثتهم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه وهشام بن عروة ، كلاهما عن عروة ، عن عائشة به . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهو حديث أبي الزناد .وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن عمر مر بحسان ، وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه ، فقال : قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك . ثم التفت إلى أبي هريرة ، فقال : أنشدك االله أسمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس " ؟ . فقال : اللهم نعم .وفي بعض الروايات : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال لحسان : " اهجهم أو : هاجهم وجبريل معك " .[وفي شعر حسان قوله :وجبريل رسول االله ينادي وروح القدس ليس به خفاء]وقال محمد بن

إسحاق: حدثني عبد االله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي ، عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرا من اليهود سألوا رسول االله صلى االله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح . فقال : " أنشدكم باالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو الذي يأتيني ؟ " قالوا : نعم . [وفي صحيح ابن حبان أظنه عن ابن مسعود أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " إن روح القدس نفخ في روعي : إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا االله وأجملوا في الطلب "] .أقوال أخر :قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : (بروح القدس) قال : هو الاسم الأعظم الذي كان عيسي يحيي به الموتى . وقال ابن جرير : حدثت عن المنجاب . فذكره . قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك . [ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضا قال : وهو الاسم الأعظم] .وقال ابن أبي نجيح : الروح هو حفظة على الملائكة .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب . وقال السدي : القدس : البركة . وقال العوفي ، عن ابن عباس : القدس : الطهر . [وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري

أنهما قالاً : القدس : هو االله تعالى ، وروحه : جبريل ، فعلى هذا يكون القول الأول] .وقال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله تعالى : (وأيدناه بروح القدس) قال : أيد االله عيسى بالإنجيل روحا كما جعل القرآن روحاً ، كلاهما روح من االله ، كما قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) [الشورى : 52] .ثم قال ابن جرير : وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال : الروح في هذا الموضع جبريل ، لأن الله ، عز وجل ، أخبر أنه أيد عيسى به ، كما أخبر في قوله : (إذ قال االله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) الآية [المائدة : 110] . فذكر أنه أيده به ، فلو كان الروح الذي أيده به هو الإنجيل ، لكان قوله : (إذ أيدتك بروح القدس) (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) تكرير قول لا معنى له ، واالله أعز أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به .قلت : ومن الدليل على أنه جبريل ما تقدم في أول السياق ; والله الحمد .وقال الزمخشري (بروح القدس) بالروح المقدسة ، كما يقول : حاتم الجود ورجل صدق ، ووصفها بالقدس كما قال : (

وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتقريب تكرمة ، وقيل : لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث ، وقيل : بجبريل ، وقيل : بالإنجيل ، كما قال في القرآن : (روحا من أمرنا) [الشورى : 52] وقيل باسم االله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره ، وتضمن كلامه قولا آخر وهو أن المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة .وقال الزمخشري في قوله : (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) إنما لم يقل : وفريقا قتلتم ; لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضا لأنهم حاولوا قتل النبي صلى االله عليه وسلم بالسم والسحر ، وقد قال ، عليه السلام ، في مرض موته : " ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري " ، وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره .